ثورة الاتحاديين في تركيا ١٩٠٨

أ.م.د.كريم طلال مسير الركابي
الجامعة المستنصرية-كلية التربية الأساسية

التمهيد:

ترجع المحاولات الاصلاحية في الدولة العثمانية الى عهد السلطان محمود الثاني(١٨٠٨-١٨٣٩) اذ قام بمجموعة من الاجراءات التي تركت اثار واضحة في الدولة[١]. وأعتقد رجال السياسة العثمانية بأن علاج التدهور الحاصل في الدولة العثمانية يكمن في حركة اصلاح نظام الحكم والادارة العثمانية، اذ نتج عن ذلك ما اسموه بـ(التنظيمات) في سنة ١٨٣٩، والتي امتدت في رأي الكثير من المؤرخين الى سنة ١٩٠٨ عندما أعيد العمل بالدستور مرة أخرى .

بدأت هذه الحركة بأعلان السلطان عبد المجيد ١٨٣٩-١٨٦١ البيان الاصلاحي المعروف بـ(خط شريف كولخانة) عام ١٨٣٩[٢]. وخط همايون عام ١٨٥٦[٣]. وصدرت مراسيم عديدة للاصلاحات الجدية بعد ذلك[٤]. غير ان هذه الاصلاحات كانت تذهب سدى لانها كانت مرتجلة وعابرة من جهة، ولان الدول الاوربية الطامعة في الدولة العثمانية لم تدع لها فرصة النجاح من جهة ثانية، ولان السلاطين العثمانيين اثناء هذه المحاولات كانوا مستبدين ومسرفين فلم يتبنوا الرغبة في الاصلاح تبني المدرك والمخلص من جهة ثالثة[٥].

---

[١] ادخل السلطان محمود الثاني بعض النظم الاوربية في الحياة المدنية، اذ انشأ مكتباً للتفتيش كان الهدف منه تقليص سلطات رجال الدين وتعزيز الرقابة، وفي عام ١٨٢٩ ادخل نظام (رؤساء الاحياء) او المختارين الذي اصبح فيما بعد مجلس من خمسة اعضاء الهدف منه القيام بالمهمات المدنية الموكلة الى القضاة والائمة (للتفصيل انظر: سليم البستاني، عبرة وذكرى والدولة العثمانية قبل الدستور وبعده، تحقيق ودراسة خالد زياد، دار الطليعة، بيروت، تشرين الثاني ١٩٧٨، ص٢٦ .

[٢] كان يهدف الى ضمان حقوق الافراد في الدولة العثمانية بغض النظر عن معتقداتهم الدينية واختلافاتهم القومية، وتنظيم التجنيد في الدولة .

[٣] اكد على تنظيم المحاكم وجهاز الشرطة وادارة الولايات وجمع الضرائب .

[٤] مجموعة مؤلفين ، التاريخ الحديث والمعاصر للوطن العربي ، بغداد ، ١٩٨٣، ص ص٥١-٥٢.

[٥] محمد عزة دوزة ، تركيا الحديثة ، مطبعة الكشاف ، بيروت ١٩٤٦ ، ص١٠.

وبالرغم من كل ذلك فقد توجت جهود المصلحين في الدولة العثمانية وعلى رأسهم مدحت باشا[١]، في عهد السلطان عبد الحميد الثاني باعلان الدستور سنة ١٨٧٦، الذي كان اكثر انسجاماً وتمشياً مع حركة العالم الحديث.

وقد كانت وراء حركة الاصلاحات هذه عوامل عديدة ابرزها الضغط الاوربي الاستعماري على الدولة العثمانية كان السبب الاول في دفع الحكومة للعمل في اصلاح شأنها لمقاومة هذا الضغط، كما ان الطبقة البرجوازية الناشئة في الدولة العثمانية وخاصة في استانبول بالرغم من ضعفها بدأت تساند إي اتجاه اصلاحي يسير نحو التخلص من الاوضاع الاقطاعية المتخلفة انذاك وبدأت تقف مع الحكومة في خلق هيكل جديد من الادارة والقوانين المدنية، وهذا التقارب بين الطبقة البرجوازية والسلطة المركزية كان يعود بالنفع على الاخيرة، لان هدم الاوضاع البالية سيدعم مركزية السلطة، وهذا شبيه لما حدث في اوربا في القرن السادس عشر اوائل القرن السابع عشر[٢].

نشأة جمعية الاتحاد والترقي والعمل السياسي:

سادَ الوضع السياسي في الامبراطورية العثمانية في اواسط القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين ظاهرتان متناقضتان هما ازدياد الوعي السياسي للجماهير لاهمية الانظمة الدستورية، وازدياد سلطة السلطان وسيطرته المستبدة. وقد ادركت القوى المثقفة بأن الاعتماد على الصحف في نشر افكارهم لا يفكي في عهد تفرض فيه قيود الاستبداد،

---

[١] هو من رجال الدولة الاتراك المشهورين في العصر الحديث ، ولد في استانبول في سنة ١٨٢٢، وان اصل اسرته من (روسجق) ببلغاريا تقلد مناصب مختلفة في الادارة حتى اصبح حين بلغ الاربعين من العمر واليا على بلغاريا ثم على ولاية الدانوب ، وفي عام ١٨٦٨ عين واليا على بغداد ، وكان اداري نابع ورجل دولة متنور ومحب لوطنه وقد اسند اليه منصب الصدر الاعظم في الدولة العثمانية، ولكنه في الاخير اعتزل العمل للمحافظة على كرامته. نفي الى خارج استانبول على اثر اتهامه بمؤامرة خلع السلطان عبد العزيز واستقر به المطاف في الحجاز عام ١٨٨١، وبعد ذلك عمل السلطان عبد الحميد الثاني على قتله عام ١٨٨٣. وبذلك فقدت الدولة العثمانية واحد من اكبر المصلحين الذين كان همهم انقاذ تركيا من التدهور والانحلال.

لقب مدحت باشا بالكثير من الالقاب منها ابو الدستور، زعيم الاحرار، محطم التيجان، خالع الملوك (للتفصيل انظر : صديق الدملوجي ، مدحت باشا، مطبعة الزمان، بغداد ١٩٥٢-١٩٥٣، ص٢٦-٢٧) .

[٢] د. ابراهيم خليل احمد، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني ١٥١٦ – ١٩١٦، الموصل ١٩٨٣، ص١٧٨-١٧٩ .

ولكي تأخذ هذه الافكار طريقها الى النجاح لابد وان ينظم الشعب وتعبأ قوته لتحقيق هذه الشعارات المرفوعة، حيث ان القوة المسيطرة لا تستسلم طواعية للقوى المعارضة لها ، ولذلك فأن الانتصار الاخير، لم يأتي بصورة سهلة ولم يكن رخيص المنال، بل يأتي مضمخاً بدماء الذين نذروا انفسهم في سبيل الحرية والحياة الدستورية[١] .

ففي سنة ١٨٨٩ شكل جماعة من طلاب الكلية الطبية العسكرية في استانبول جمعية وطنية سرية عرفت باسم جمعية (الاتحاد والترقي) وكان يتزعمها شاب الباني اسمه ابراهيم تيمو[٢]. وانضم الى تلك الجمعية اعضاء من الاكاديمية البحرية والاكاديمية العسكرية ومدارس المدفعية والمهندسين ومدرسة الطب البيطري[٣]. وكان تنظيم الجمعية على طراز الكاربوناري الايطالية حيث ان (تيمو) كان قد تعلم شيئاً كافياً عن دور الكاربوناري في التاريخ الايطالي خلال اقامته في (برنديزي ونابولي) حيث كان اثرها واضحاً على الجمعية، فكان أعضائها يعرفون بعضهم بعضاً بارقام كسرية وقد احتفظ تيمو برقمه في الجمعية بـ(١/١) [٤].

كما تأثرت هذه الجمعية باراء بعض المفكرين التقدميين من الاتراك وفي مقدمتهم نامق كمال[٥]. وقد نشطت هذه الجمعية ووجدت ترحيبا من الناس ووسعت قواعدها بحيث انظم لها الكثير من العرب من الاقطار العربية الخاضعة للدولة العثمانية، بل وانظم اليها بعض الامراء[٦].

---

[١] سليم الصويص المحامي، اتاتورك منقذ تركيا وباني نهضتها الحديثة ، ط١ ، لم يذكر مكان الطبع، اذار ١٩٧٠، ص٣٩ .

[٢] في ايار ١٨٨٩ بحث تيمو مع ثلاثة من زملائه الطلاب وهم اسحق سكوتي وشركس محمد رشيد وعبد الله جودت واقترح تشكيل هذه الجمعية واصبح هؤلاء الطلاب الاربعة نواة للجمعية وسرعان ما جذبت لها طلاب اخرين وتضيف بعض المؤلفات اسما خامساً لهم هو ((كرديان)) للتفصيل انظر: ارنست أ. رامزور، تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨، ترجمة د. صالح احمد العلي، بيروت، ١٩٦٠ ، ص٥٠ .

[٣] د. محمد كمال الدسوقي ، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، القاهرة ، ١٩٧٦ ، ص٣١٣ .

[٤] ارنست أ. رامزور ، المصدر السابق ، ص٥٠-٥١ .

[٥] د. محمد كمال الدسوقي ، المصدر السابق ، ص٣١٣ .

[٦] سليم الصويص ، المصدر السابق ، ص٤٠ .

بعد فترة قصيرة نسبياً صادف ان ثلاثة طلاب من ضعاف النفس قدموا للسلطان تقريراً يبينون فيه ان (أفكار الحرية) كانت تدور بطلاقة في المدرسة الطبية الحربية، وقد أتخذ السلطان عبد الحميد تدابير حازمة ، وجرى التحقيق مع بعض الطلبة والقي القبض على البعض الاخر، وفي الوقت نفسه استمرت الجمعية في النمو ، واخذت تفتش عن مؤيدين لها من خارج المدارس وسرعان ما كسبت الجمعية بفضل توجيهاتها كثيراً من الاتباع من العناصر الاكثر ثقافة في المدينة وان عدد من مؤيديها جاءوا من بقايا الجماعة الاولى لتركيا الفتاة (العثمانيون الجدد) التي تعود الى ايام السلطان عبد العزيز[١] .

وقد نظم العثمانيون الاحرار في باريس والذين لجأوا اليها بعد حل مجلس المبعوثان واعتقال عدد من اعضاءه حيث نظموا هؤلاء في باريس عصبة سياسية، واستطاعت جمعية الاتحاد والترقي ان تتصل بهؤلاء واصدروا مجلة خاصة بهم تدعى (تركيا الفتاة) بأدارة المواطن اللبناني خليل غانم الذي كان عضواً في مجلس المبعوثان، ولعب دوراً اساسياً في سبيل إنجاح حركة الحرية، ونشطت حركة الاحرار في عام ١٨٨٩ بانضمام (احمد رضا بك) الى صفوفها ، والذي مارس دورا قيادياً في الحركة السياسية[٢] . كذلك اصدروا صحيفة ((مشورت)) التي تصدر مرتين في الشهر ، وكانت بالتركية ونشرت هذه الصحيفة اهداف الجمعية ، وجاء في عرضها لهذه الاهداف (اننا نطالب بالاصلاحات ، ولا نقصرها على هذه الولاية او تلك ، بل نطلبها للامبراطورية كافة ، لا لمصلحة قومية واحدة بل لمصلحة العثمانيين كافة سواء كانوا يهودا او نصارى او مسلمين) [٣].

ومن هنا يظهر ان جمعية الاتحاد والترقي ضمت بين صفوفها اعضاء يهود امثال جاويد بك وهو رأسمالي كبير[٤] .

---

[١] أرنست أ. رامزور ، المصدر السابق ، ص٥٣-٥٤ .

[٢] سليم الصويص ، المصدر السابق ، ص٤٣-٤٤ .

[٣] أرنست أ. رامزور ، المصدر السابق ، ص٥٦-٥٧ .

[٤] تشير الكثير من المؤلفات الى ان مبادئ (حزب الاتحاد والترقي) كانت هي بعينها مبادئ الجمعية الماسونية وان كثير من اعضاء الحزب المتزعمين لسياسته العليا كانوا اعضاء في هذه الجمعية، للتفصيل انظر : مجيد حبيب احمد ، نهضة الشعوب الاسلامية في العصر الحديث، مصر ١٩٥٢-١٩٥٣، ص٢٧ .

كان من ابرز اهداف هذه الجمعية هي اعادة دستور عام ١٨٧٦ والعمل به، والذي اصدره مدحت باشا ، وعلى وجوب اجراء الاصلاحات في كافة مرافق الدولة العثمانية ، وتأسيس دولة عصرية وقوية ومعارضة تدخل الدول الكبرى في شؤون الامبراطورية والحفاظ عليها من الانهيار[١] .

وفي القسطنطينية كانت تنتشر بسرعة ، بحيث اثارت مخاوف الحكومة، مما حملها على القيام ببعض الاعتقالات ففي سنة ١٨٦٥ اوقف عدد من الاعضاء بما فيهم (عبد الله جودت واسحق سكوتي وشرف الدين مغمومي وكريم سيبياطي) ، ثم نفوا الى اماكن مختلفة ، وهرب بعضهم الى باريس . وقد ادت هذه الاعتقالات التي كانت تحدث بين الحين والاخر الى عرقلة اعمال الجمعية ، لذلك وضعت خطة عمل جديدة[٢]، وذلك بتدبير انقلاب ضد السلطان عبد الحميد الثاني في سنة ١٨٩٦ الا ان هذه المحاولة افتضح امرها بمحض الصدفة نتيجة وشاية احد اعضاء الجمعية (نادر بك) الذي اباح بالخطة بعد ان تجاوز حديد قابليته باحتساء الخمر، ونقل هذا الخبر الى قصر السلطان ولم تنته البلبلة، التي سبقت يوم التنفيذ الا وكان اغلب المشتركين في المؤامرة قد القي القبض عليهم مما ادى الى تفهيم الى مناطق نائية عن الامبراطورية[٣].

غير ان هذا الفشل في عمل الحركة الانقلابية لم ينه عمل الحركات السياسية، بل واصلت هذه الحركات نشاطها من منفاها في القاهرة وباريس وجنيف[٤]. وقد استفاقت جمعية الاتحاد والترقي من اثر الضربة بعد انكشاف الانقلاب فاجتمع الطلاب في (المدرسة الحربية) وكتبوا الى اعضاء الجمعية في الخارج لمواصلة النضال، وتشكلت في

---

[١] مجموعة مؤلفين ، تاريخ اوربا في القرن التاسع عشر ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص٣٨١ .

[٢] الخطة تهدف الى تنحية السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش، ثم في الوقت نفسه يقبض على ولي العهد ((رشاد افندي)) ثم تستحصل فتوى شيخ الاسلام بخلع عبد الحميد، وتعيين مراد الخامس مكانه ، والذي خلع من قبل واذا اثبت مراد عجزه عن تحمل المسؤولية فيعين مكانه اخو عبد الحميد (رشاد) الذي يتلوه في خطب التعاقب الوراثي (للتفصيل انظر : ارنست أ. رامزور، المصدر السابق ، ص٦٤) .

[٣] أرنست أ. رامزور ، المصدر السابق ، ص٥٨-٦٣ .

[٤] سليم الصويص ، المصدر السابق ، ص٤٤ .

هذه الفترة وعلى اثر ذلك تشكل فرع يعرف باسم (لجنة سليمان باشا) تخليداً لاسم رجل وطني قديم، والتي عملت هذه مع لجنة ((حسين عوتي)) في الكلية العسكرية[١].

لقد وجهت ضربة كبيرة الى جمعية الاتحاد والترقي بعد أن اوقف اعضائها في اوربا كفاحهم ونضالهم ضد السلطان عبد الحميد الثاني فجأة ، باستثناء واحد او اثنين من الشخصيات البارزة بل ان بعضهم توجه الى تركيا للعمل مع السلطان، وبذلك ارجئت معارضة الاتراك لبعد الحميد الثاني في كافة ارجاء الامبراطورية لبعض سنوات ، ولكن الجمعية لم تلق سلاحها الا بعد ان حصلت على ضمانات بأن السلطان سيتنازل عن بعض الاشياء ويدخل الاصلاحات، واطلقوا على هذه الترتيبات اسم (هدنة) واحتفظوا بحق العودة الى القتال والمقاومة في حالة عدم تنفيذ شروطهم، وبالرغم من ذلك ادركوا بان وعود عبد الحميد لا قيمة لها[٢].

الظروف والعوامل التي ساعدت على قيام الثورة:

ان الحالة التي وصلت اليها الدولة العثمانية، والحركات السياسية التي ولدت لتحرك الجماهير التي آلمتها الاوضاع الداخلية وطبيعة نظام الحكم في سلب الحرية والكرامة، واستمرار حالة الاضطهاد والتعسف، وهنا نذكر بشيء من التركيز، العوامل التي ساعدت على قيام الثورة الاتحادية.

كان لرعايا الامبراطورية العثمانية (الارمن، الالبان، الاكراد، العرب، وغيرهم) العدد الكبير من المنظمات والحركات السياسية والصحف في اوربا، التي كانت تدافع عنهم، وهكذا ولد شعوراً بين اعضاء جمعية ((الاتحاد والترقي)) والاحرار العثمانيين بأن لكل قومية في الامبراطورية حام ماعدا الترك انفسهم ويتشكون بمرارة من ترك التركي اليائس بلا محام عما يعاني من ظلم عبد الحميد ، ولكن بالرغم من الاختلاف بين الجماعات الكثيرة وامالها ، فمن الطبيعي ان تكون هناك محاولات تنسيق فعاليات في امر واحد هو ازاحة النظام القائم في الامبراطورية[٣] .

كما أن انتصار اليابان على روسيا وتحطيم قوتها العسكرية سنة ١٩٠٤ اثناء الحرب الروسية اليابانية كان له الاثر الواضح في تحريك الاوضاع الداخلية ، لان ذلك لا

---

[١] أرنست أ. رامزور ، المصدر السابق ، ص٧٣-٧٤ .

[٢] المصدر نفسه ، ص٧٥-٧٦ .

[٣] أرنست أ. رامزور ، المصدر السابق ، ص٩٣ .

يعني فقط انتصار دولة شرقية على دولة اوربية ، بل ان ذلك كان يعني انتصار الدولة الديمقراطية الدستورية على الدولة الاستبدادية ، وهذا مما جعلهم يتصورون ، أي العثمانيين ان اسباب ضعف إمبراطوريتهم واندحارها المستمر امام القوات الاوربية ناجم عن نوعية وطبيعة النظام الذي تطبقه بتوجيه القوة كلها لحماية السلطان والبطش بالشعب وارهباه[١].

ولا ننسى ما كان للثورة الروسية سنة ١٩٠٥ التي قامت ضد الحكم القيصري في روسيا من اثر على تحفيز وتهيأتهم للثورة اذ تأكدوا بان الحكم الاستبدادي لايمكن ان يبقى الى الابد وان باستطاعتهم القيام بالثورة ضد النظام .ان الخطوات الاولى في التنظيمات العسكرية التي اثرت في الثورة جاءت من قبل مصطفى كمال، ففي سنة ١٩٠٥ اعتقل عدد من الضباط الشباب الذين تخرجوا من الكلية الحربية بتهمة القيام بنشاط سياسي معاد، وابعدوا الى الوحدات العسكرية المرابطة في اطراف الامبراطورية، وكان فيهم مصطفى كمال الذي الحق بالفيلق الخامس في سوريا والذي اوكلت له مهمة سحق ثورة الدروز هناك . فكان للطريقة التي انتهت بها الثورة اثرا كبيرا والما واضحا في نفسه[٢] . وقد انشا مصطفى كمال في دمشق جمعية ثورية سرية اسماها (الوطن) وانتشر مؤيدها بين ضباط الجيش الخامس هناك، ثم سافر الى (سالونيك) مسقط راسه واسس فيها مراكز لجمعيته المذكورة بين اعضاء الجيش الثالث في مقدونيا . وفي الوقت نفسه تأسست في سالونيك ايضا جمعية اخرى عرفت باسم (الحرية) وقد تم اخيرا دمجها مع جمعية (الوطن) وتوحد نشاطهما، ثم دخلت تلك الجمعيات الصغيرة بالتعاون كلها مع جمعية الاتحاد والترقي المعارضة للحكومة[٣].

ان التذمر في صفوف الضباط الاتراك لا تقتصر اسبابه على الدوافع القومية وحدها، وانما كانت هناك اعتبارات اخرى مسؤولة عن جعل كثير من الضباط يلتفون حول اية جماعة تعدهم بتحسن احوالهم اذ لم تكن الترقية في الجيش العثماني على اساس

---

[١] سليم الصويص ، المصدر السابق ، ص٤٧.

[٢] بعد القضاء على ثورة الدروز دفعه مصطفى كمال بان يأخذ نصيبه من الاسلاب والاموال وقال (شباب اليوم ليسوا من هذه الطينة الحقيرة) وبالفعل قادت هذه الروح التي سادت بين الضباط الى الثورة (للتفصيل انظر : سليم الصويص ، المصدر السابق ، ص٤٨).

[٣] د. محمد كمال الدسوقي ، المصدر السابق ، ص٣١٤-٣١٥ .

المقدرة للضباط وانما كانت على اساس تقديمه تقارير سرية سيئة عن زملائه الضباط. اما الرواتب فكان دفعها يتاخر باستمرار وفي حالة دفعها يخصم جزء منها لبعض المضاربين . وكان لاتصال ضباط الجيش الثالث في مقدونيا مع الضباط الفرنسيين والإنكليز والإيطاليين والروس اثرا في ازدياد مجالات الثقافية بدرجة كبيرة بينهم وأدى الى معرفة الضباط الصغار كثير من الاشياء التي كانت مقفلة في وجههم من قبل[١]. وظهرت الحركات السرية العربية خلال عام ١٩٠٦ واحتلت مكانها تحت الشمس واخذت الصحافة والادب العربي يوجهان الناس وجهة قومية ويدعوان للاستقلال الكامل عن الإمبراطورية وخير دليل على ذلك قصيدة ابراهيم المشهورة [٢]:

تنبهوا واستفيقوا ايها العرب

فقد طمى الخطب حتى غاصت الركب

وحدثت خلال الاعوام ١٩٠٦-١٩٠٧ الكثير من الاضطرابات والعصيان بين الناس وخاصة عصيان الجيش التركي في عدة اماكن من البلاد لغرض دفع الرواتب المتأخرة جدا كذلك ثار الجنود الذين صدرت لهم الاوامر للابحار الى اليمن التي كانت مصدر تعاسة لهم وانضم المدنيين الى بعض تلك التمردات معلنين احتجاجهم[٣].

وعقد في اواخر كانون الاول ١٩٠٧ المؤتمر الثاني للاحرار العثمانيين في باريس واشترك فيه ممثلون عن بعض الشعوب المسيحية التابعة للدولة العثمانية وقرر المؤتمر مايلي:-

١- اجبار السلطان عبد الحميد الثاني على ترك العرش.

٢- تبديل الادارة الحاضرة من اساسها.

٣- تأمين اصول المشروطية والمشورة[٤].

وتقرر في المؤتمر نفسه وجوب ابتداء العمل لقلب الحكومة التي جلبت الى البلاد نكبات لا حصر لها، وتقرر ان تكون مقدونيا مركز للحركة لبعدها عن عيون الحكومة ولاشتداد الضنك والقسوة فيها على الاهالي والجنود معا[١] .

---

[١] ارنست أ. رامزور ، المصدر السابق ، ص١٣٢-١٣٦ .

[٢] سليم الصويص ، المصدر السابق ، ص٤٩ .

[٣] ارنست أ. رامزور ، المصدر السابق ، ص١٤٤ .

[٤] ساطع الحصري ، البلاد العربية والدولة العثمانية ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٦٠ ، ص١٠٦-١٠٧ .

ومقدونيا كانت تتالف من ثلاث ولايات (مناستر ، وقصرة ، وسالونيك) وتشكلت فيها عصابات بلغارية عاثت في انحاء البلاد فسادا مروعة العناصر السلافية الاخرى، وقد عجزت القوات العثمانية من القضاء عليها . ولهذا طلبت الدول الاوربية (روسيا والنمسا) من السلطان العثماني ان يبعث مفتشا عاما اوربيا وقوة بوليسية بقيادة ضباط اوربيين ، لكن هذه الخطة اخفقت في توطيد دعائم النظام ، بل ان العناصر الاخرى شاركت في حرب العصابات اسوة بالبلغار وعجزت الدول الكبرى (روسيا . انكلترا، فرنسا، النمسا، ايطاليا) عن وضع حدا للثورة هناك، وفي الاخير وافق السلطان على تعيين حاكم عام مسيحي لمقدونيا وتطبيق الاصلاحات فيها ، وتكون تحت مراقبة الدول الخمسة اعلاه[٢].

كان ذلك سببا من اسباب استياء تركيا ، وقد ساعدت هذه الظروف في مقدونيا على نشر افكار جمعية (الاتحاد والترقي) بسرعة والتي كانت تعمل بنشاط ، في حين لم يظهر بين اعضائها اية بادرة خيانة ، وبذلك وقفت الجمعية مقدما على القوى التي يمكنها الاعتماد عليها فوجدتها كافية وهي مؤلفة من الفيلقين الثاني والثالث في مناستر واسكوب وادرنه وازمير ، ومن الفيلق الرابع في ارض روم ، وكان من غير الممكن ارسال الفيلق الاول الموجود في الاستانة لمحاربة الاتحاديين لانه لا يمكن تجريد العاصمة من الجند [٣] .

وكان للوضع الدولي اثر كبير في اشعال فتيل ثورة الاتحاديين ويبدو واضحا ان الاجتماع (الريغال) الذي تم بين ادوارد السابع ملك انكلترا ونيقولا الثاني قيصر روسيا في ٩ و١٠ حزيران ١٩٠٨ سبب قلقا الى جمعية الاتحاد والترقي اذ كان شائعا بان انكلترا كانت مستعدة للتخلي عن معارضة الطموحات الروسية في الشرق وذلك يؤدي الى نهاية الحكم التركي في مقدونيا ، وربما في جميع انحاء تركيا في اوربا، وبدون شك تعزز صحة هذا التخمين من خلال الاخبار التي تفيد بان الاسطول الروسي، كان قد اجرى مناورات استعراضية على ساحل البحر الاسود التركي في الايام القليلة الماضية وكان الدافع

---

[١] قاسم محمد وحسن حسني ، تاريخ القرن التاسع عشر ، القاهرة ، بدون سنة طبع ، ص٢٠٥ .

[٢] كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة نبيه فارس ومنير البعلبكي ، ج٢ ، بيروت، ١٩٥٥ ، ص٧٧-٧٨.

[٣] محمد فريد بك المحامي ، تاريخ الدولة العلية العثمانية، بيروت ، ١٩٧٧م ، ص٤١٠ .

المباشر لاندلاع الثورة هو ضرورة العمل قبل تحرك السلطان لاحباط المحاولة كما تزامن لقاء الريغال مع حالة الاضطرابات الأولى[١].

كل هذه الظروف والاحداث المارة الذكر اوصلت حالة المجتمع الى مرحلة جديدة نضجت فيها التناقضات المختلفة وحققت المنظمات السياسية برنامجها السياسي، فلم يبقى امامها سوى ان تحول المبادئ النظرية الى واقع عملي ملموس وذلك من خلال القيام بالثورة .

الثورة الاتحادية سنة ١٩٠٨:

ان الاهانة التي وجهت الى الإمبراطورية العثمانية على اثر اخضاع مقدونيا الى الرقابة الدولية، ثم اجتماع (الريغال) المار الذكريين انكلترا وروسيا. والذي كان محاولة لتقسيم الإمبراطورية العثمانية الضعيفة ، كل ذلك ولد روح النقمة والهيجان في اوساط الضباط والسهولة التي تحتاجها ثورة ١٩٠٨ ، ومن ثم استلام الاتحاديون السلطة .

فقد رفض الرائد (انوربك) الامتثال لامر عسكري بالحضور الى الاستانة واعتصم باحد الجبال في مقدونيا ومعه جنوده ، ولحق به زميل اخر يدعى (نيازي بك) وقام هؤلاء بالسيطرة على مناستر وكوسوفا وانضم رجال الفيلقين الثاني والثالث وجنود الاناضول الى الحركة[٢]. وقد ارسلت قوة عسكرية لاخضاع (انوربك) واعتقالة فرفض الجنود الامتثال للسلطان وانضموا الى انور بك، بعد ذلك وجه أنور بك انذارا الى السلطان عبد الحميد باعادة العمل بدستور عام ١٨٧٦ الذي وضعه المصلح مدحت باشا، وهدد الجيش الثالث في سالونيك بالزحف على العاصمة وخلع السلطان في حاله عدم اعلان الدستور وتعيين اخيه مكانة [٣] .

وقد نصح مجلس الوكلاء (الوزراء) عبد الحميد اثاني في ٢٣/تموز/١٩٠٨ يمنح الدستور. ووفقا لذلك أعلن في اليوم التالي ٢٤/تموز/١٩٠٨ الدستور واذعن امام التهديد،

---

(1) Ernest Edmondson Ramsur JR , The young Turks Prelude to the Revolution of 1908 , New Jersey 1957 , pp. 133-134 .

[٢] سليم الصويص ، المصدر السابق ، ص٥٢ .

[٣] محمد قاسم وحسن حسني ، المصدر السابق ، ص٢٠٦ .

واصدر فرمانا تضمن بالاضافة لاعلان الدستور، الغاء نظام التجسس الصارم بالدستور الجديد، وطرد الوزراء الفاسدين ، وعين مرشحوا الاتحاديين محلهم[١].

وفي اعقاب اعلان الدستور اطلق سراح جميع المعتقلين والمبعدين، وبعكس ذلك اعتقل مؤيدي عهد الاستبداد السابق، وبدأ البحث عن مصادر الثروة التي اكتنزوها وضروب المظالم التي ارتكبوها، وان هذا الدستور الجديد لم يكن من عمل جماعة محددة من رجال الدولة ومفكريها، كما كان الدستور الاول لسنة ١٨٧٦، وانما كان وليد نضال طويل وحركة واسعة النطاق اشترك فيها عدد كبير من الموظفين (المدنيين وكذلك العسكريين الشباب)[٢]. حتى اصبح مدبري الثورة يعرف باسم ((زعماء تركيا الفتاة)) في انحاء اوربا[٣].

لقد الغت الثورة الاتحادية الرقابة على الصحف، وتم تعيين وزارة جديدة حسب رغبة جمعية الاتحاد والترقي، وشرعت هذه الجمعية في العمل، واصدرت البرنامج السياسي الذي تسير عليه، وهو مؤقت لحين اجتماع مجلس المبعوثان ، وقد جاء فيه أنه يرمي الى المسؤولية الوزارية امام البرلمان، وحق مجلس المبعوثان والاعيان في تشريع القوانين ، وانتخاب ثلثي اعضاء مجلس الاعيان من قبل ممثلي الامة التصويت العام ومساواة المواطنين امام القانون في الحقوق والواجبات بغض النظر عن الاديان والاجناس وحرية التعليم وتاليف الجمعيات واصلاح حالة الفلاحين، وتسوية العلاقات بين العمال واصحاب العمل[٤].

واستبشر الناس ورحبت شعوب الامبراطورية العثمانية بالعهد الجديد معلنة تأييدها في جميع انحاء الممالك العثمانية حتى العصابات المسلحة التي كانت مختبئة في جبال مقدونيا وغاباتها ، ونزلت العصابات البلغارية واليونانية واليونانية والصربية التي كانت سابقاً مصدراً للفوضى وعدم الاستقرار الى مراكز الادارة تعلن تأييدها لعهد (الحرية والعدالة

---

(1) D.R.S.M. Imamunddin , Modern History of the Middle East and North Africa , Pakistan , July 1960, p. 206 .

(٢) ساطع الحصري ، المصدر السابق ، ص ص١٠٨-١٠٩ .

(٣) د. محمد كمال الدسوقي ، المصدر السابق، ص٣١٦ .

(٤) توفيق علي برو ، العرب والترك في العهد الدستوري ، ١٩٠٨-١٩١٤ ، لم يذكر مكان الطبع، ١٩٦٠ ، ص٨٠ .

والمساواة) حسب الشعار الذي اشتهر بين الناس، وقد عم البلاد جوا بهيجاً تطرز اوقاته السرور والامال[١].

وقد اجريت الانتخابات، وفي ١٧/ايلول/١٩٠٨ افتتح السلطان عبد الحميد البرلمان بخطاب العرش ، وكان البرلمان يضم (٢٧٥) عضواً او نائباً منهم (١٤٢) من الاتراك و(٦٠) من العرب و(٢٥) من الالبان و(٢٣) من اليونان و(١٢) من الارمن و(٥) من اليهود و(٤) من البلغار و(٣) من الصربيين و(١) من أقليم ولاشيا[٢] .

لكن هذه الفرصة التي عمت البلاد لم تدم طويلاً، اذ حدثت الثورة المضادة بعد وقت قصير من قيام الثورة الاتحادية.

ويجب ان نذكر بأن انتصار هذه الثورة كان انتصاراً جزئياً اذ ان الاتحاديين كانوا يخشون الثورات المضادة ويسعون الى الاتفاق مع السلطة القديمة، بل ابقوا السلطة بيد السلطان عبد الحميد[٣].

الثورة المضادة:

بعد ان استولى الاتحاديون على السلطة العثمانية ، اخذوا يعملون بنشاط واسع في البداية في الداخل والخارج ما عزموا على تنفيذه من مشروعات وبرامج سياسية وعمرانية واجتماعية واصلاحات ادارية ، واستمرت الجرائد والصحف تنشر الكثير من المقالات التي تعبر عن وجهة نظر الاتحاديين في الاخاء العثماني والمساواة بين المواطنين في الحقوق المدنية والاجتماعية بدون تمييز بين الاديان والاجناس والقوميات، وكان لكل ذلك تاثيراً كبيراً في اثارة العناصر المعارضة والرجعية مما يدفعها الى وضع العراقيل في مجرى الاحداث اذ من الواضح بأن الرجعية لا يمكن ان تلقي سلاحها وتستسلم .

وقد سنحت الفرصة الذهبية لهذه الفئة حين اغتيل الصحفي (حسن فهمي) محرر جريدة (سريستي) وقد اتهم الاتحاديون بتدبير هذه الحادثة باعتباره من خصومهم السياسيين، وساد العاصمة جو من التوتر والقلق، ففي ١٣ نيسان ١٩٠٩[٤] قامت الثورة

---

[١] ساطع الحصري ، المصدر السابق ، ص١٠٩ .

[٢] مجموعة مؤلفين ، تاريخ اوربا في القرن التاسع عشر، ص٣٨٢ .

[٣] لوتسكي، تاريخ الاقطار العربية الحديثة ، منشورات اكاديمية العلوم في الاتحاد السوفيتي ، معهد الاستشراق، موسكو ١٩٧١ ، ص٣٩٣ .

[٤] تذكر بعض المؤلفات ان تاريخ الثورة المصادة هو ٣١/آذار/١٩٠٩ وكان من ابرز زعماء هذه الثورة ((درويش وحدتي)) الذي عمل تحت ستار (الغيرة على الدين) واستطاع ان يغري الجنود السذج

المضادة من قبل جماعات من الشباب التي كانت تدعوا الى اعادة الشريعة الاسلامية وتطبيقها، لانها احست بانصراف الاتحاديين عنها. وكان معظم هؤلاء من الجنود الالبانيين الذين كانوا في الفيلق الاول المعسكر في الاستانة وزحفوا نحو مبنى البرلمان وتجمهروا خارج المبنى ، وانضم اليهم جموع من الشيوخ وطلاب الشريعة، وتجمعوا في الشوارع الرئيسية في العاصمة يرددون ((الشريعة في خطر)) نريد حكم الشريعة . وفي هذا الوقت كانت الحكومة عاجزة عن مقاومة التمرد ، فاصدر السلطان فرمانا بحل الحكومة ووعد بالحفاظ على حكم الشريعة الاسلامية والدفاع عنها[١] . وقد قتل اثناء هذه الثورة الكثير من الابرياء ، كما قتل وزير العدلية واحد مبعوثي العرب امام المجلس النيابي وطائفة من الضباط الكبار والصغار في الثكنات العسكرية وخارجها))[٢].

وفي ١٥ نيسان / ١٩٠٩ تم تعيين ((توفيق باشا)) صدراً اعظم وعهد اليه في اعادة الشريعة او القانون المقدس الى حيز التنفيذ، وتدخل الجيش الثالث في سالونيك في الامر للمرة الثانية ، وفي نيسان تقدم قائد الجيش الثالث (حسين حسن باشا) بصحبة مصطفى كمال (رئيس اركان حربه) الى العاصمة وبعد قتال قصير نجح (محمود شوكت باشا) في احتلالها . وفي ٢٦/نيسان / ١٩٠٩ عقدت في سان ستيفانو جمعية وطنية فاتخذت بناء على فتوى شيخ الاسلام قراراً بخلع السلطان عبد الحميد الثاني في ٢٧/نيسان/١٩٠٩[٣].

وتولى العرش بعده ولي العهد اخوه محمد رشاد باسم محمد الخامس[٤] الذي ترك الامر للاتحاديين ، وبتنفيذ هذا القرار طويت صحائف تأريخ السلطان عبد الحميد الثاني ،

فجعلهم يعتقدون ان الدستور مخالفاً للشريعة الاسلامية والواجب الديني يقضي بالغاء هذا الدستور واعلان الشريعة المحمدية ((للتفاصيل انظر : ساطع الحصري ، المصدر السابق ، ص ص١١٠-١١١)) .

[١] سليم الصويص ، المصدر السابق ، ص٥٥ .

[٢] ساطع الحصري ، المصدر السابق ، ص١١١ .

[٣] كارل بروكلمان ، المصدر السابق ، ص٨١ .

[٤] ولد في سنة ١٨٤٤، وقد قضى اغلب حياته في قصر زنجيرلي كوى محاطاً بالجواسيس الذين يرصدون حركاته ويقدمون العقارير المشوهه عنه، فظل كذلك الى حين حدوث الثورة الاتحادية فتخلص من الاستبداد والمراقبة . للتفصيل انظر: محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص٤١٢-٤١٣.

وانتهت فتنته الرجعية ، حيث ابعد الى سالونيك وسجن هناك في قصره، وظل سجيناً حتى وفاته عام ١٩١٨[١] .

الاتحاديون والحكم الاستبدادي :

علق العرب والقوميات الاخرى على ثورة الاتحاديين في ١٩٠٨ الامال وظنوا بان عهد الاخوة العربية– التركية قد ولد فعلاً ، وان مبدأ اللامركزية سيسود نظام الحكم الجديد في تركيا، ولكن فرحة الشعوب هذه لم تطل . اذ بعد ان استولى الاتحاديون على السلطة تحولوا الى مجموعة من الشباب المتعطشين للسلطة والمضحين بالمؤسسات الدستورية والديمقراطية في سبيل المحافظة على مراكزهم واستخدموا شتى صنوف الارهاب والقمع بحجة حماية المبادئ، فساد حكم شوفيني، استبدادي، دفع بالقوميات الاخرى التي خضعت للامبراطورية الى التحرر والثورة ، فكانت ثورة الارمن ثم ثورة العرب وتحالفهم ضد الباب العالي مع الحلفاء بقيادة شريف مكة الحسين بن علي[٢] .

وقد ادت هذه السياسة الاتحادية الى تأليف الاندية والجمعيات في العاصمة وفي ولايات السلطنة، واخذت تتكتل ضد الاتحاديين في حزب جديد اسموه (الحزب الائتلافي) غايته اللامركزية ، وانضم اليه الترك من خصوم الاتحاديين ، وهب الاكراد كذلك للمطالبة بحقوقهم المهضومة ونادوا باعلان الثورة ضد السلطة الاتحادية))[٣].

وكان الاتحاديين قد برروا حركتهم وقيامهم بالثورة بآمرين هما: القضاء على حكم السلطان عبد الحميد الفردي، واستبداله بحياة حرة دستورية، اضافة الى هذا تقوية اواصر الدولة وصونها من الاطماع الاوربية، ولكن الاحداث برهنت على العكس من ذلك فلم

---

[١] محمد عابدين حمادة ، التاريخ المعاصر ، دمشق ، ١٩٣٥ ، ص١٤٤ .

[٢] سليم الصويص، المصدر السابق ، ص٥٣ .

[٣] محمد جميل بيهم، فلسفة التاريخ العثماني، اسباب انحطاط الامبراطورية العثمانية وزوالها، الكتاب الثاني، لم يذكر مكان الطبع ، ١٩٥٤ ، ص١٨٨–١٨٩ .

يفعلوا شيئاً سوى اضافة مصائب جديدة على مصائب الامبراطورية. ففي مجال الحرية لم يختلف عهدهم عن عهد عبد الحميد – ان لم يكن اكثر استبدادا منه – حيث اقاموا دكتاتورية عسكرية وبطشوا بخصومهم السياسيين وفي مجال تقوية الدولة فتراهم قد عملوا في القضاء عليها، اذ قطعوا اوصالها ومن ثم زجوها في الحرب العالمية الاولى التي نهاية تركيا القديمة[١].

واثناء حكم الاتحاديين اصبح تعليق المشانق واعدام الاعداد الكبيرة من المعارضين لسياستهم امراً اعتيادياً وشائعاً ، مع العلم ان السلطان عبد الحميد، وبكل ما عرف عنه من قسوة وبطش فقد كان يتورع عن القيام باعدام المسلمين، ويفضل ان يقوم بنفيهم الى ارجاء الامبراطورية العثمانية النائية بدل الاعدام[٢].

الخاتمة :

من خلال استعراض لاحداث الثورة الاتحادية في تركيا يمكن التوصل الى بعض الاستنتاجات منها :

١- ان ثورة ١٩٠٨ في تركيا تعد فاتحة عهد جديد بالنسبة الى تركيا التي عاشت احلك ايامها في عهد استبدادي وحكم مطلق منذ عام ١٨٧٧ ، جر تركيا الى ويلات من المصائب والنكبات، ولكن بالرغم من ان سياسة السلطان عبد الحميد الثاني قد اتخذت من الاستبداد ركيزة لها ، ورغم انها عملت كثيراً على تأخير البلاد وتخلفها ، فأن عهد السلطان عبد الحميد يحمل بين ثناياه اضافة الى كثير من السلبيات ، بعض الخطوات الايجابية التي تستحق الوقوف عندها واعطائها التقييم المطلوب ، حيث انه بالاضافة الى كثرة المشاكل الداخلية والخارجية التي رافقت العهد الحميدي وعجز الدولة المالي ، الا انها استطاعت ان تقوم بتعمير

---

[١] محمد عابدين حمادة ، المصدر السابق ، ص١٤٥ .

[٢] سليم الصويص ، المصدر السابق ، ص٥٦ .

المدن العثمانية وخاصة الاستانة التي كانت محط انظار الشعوب الاسلامية والتي استطاعت ان تصل الى مستوى الدول العالمية الاخرى ان لم تضاهيها في هذا المجال اضافة الى كثرة المدارس ، وخاصة المدارس العسكرية التي كانت تجمع الشباب التركي المثقف، الذي تأثر بالافكار الغربية وقاد في الاخير زمام المبادرة لاعلان الثورة .

٢- كان للثورة الاتحادية في عام ١٩٠٨ وزناً كبيراً في الحياة السياسية ، فقد قوبلت بالترحيب العام والحار في مختلف الولايات العثمانية ، مما دفع بالدول الكبرى الى تغيير موقفها من الدولة العثمانية ، والغاء رقابتها على الولايات البقانية التي فرضتها على هذه المناطق قبل حدوث الثورة ، اثناء وبعد اجتماع الريغال عام ١٩٠٨ .

٣- لقد أخطأ الاتحاديون كثيراً بانحرافهم عند الاهداف التي جاءوا من اجلها ، ذلك الانحراف الذي اعاد البلاد خطوات كبيرة الى الوراء ، اذ اصبح الشائع اخيراً بان الثورة جاءت لتعيد روح الاستبداد الذي كان سائداً في القرون الماضية، مما ولد تعميق الوعي بين الشعوب غير التركية .

٤- يمكن اعتبار الحركة الكمالية ونشوء تركيا الحديثة فيما بعد نتيجة او ثمرة من ثمار ثورة عام ١٩٠٨ ، وذلك بعد دراسة السلبيات التي رافقت قيام هذه الثورة والعمل على تجاوزها .

المصادر

١- ابراهيم خليل احمد ، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني ١٥١٦-١٩١٦، الموصل ، ١٩٨٣ .

٢- أرنست أ. رامزور ، تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨ ، ترجمة د. صالح احمد العلي، بيروت ، ١٩٦٠ .

٣- توفيق علي برو، العرب والترك في العهد الدستوري ١٩٠٨-١٩١٤، لم يذكر مكان الطبع، ١٩٦٠ .

٤- ساطع الحصري ، البلاد العربية والدولة العثمانية ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٦٠ .

٥- سليمان البستاني ، عبرة وذكرى او الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده ، تحقيق ودراسة خالد زيادة ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٧٨ .

٦- سليم الصويص المحامي ، اتاتورك منقذ تركيا وباني نهضتها الحديثة، ط١، لم يذكر مكان الطبع ، آذار ١٩٧٠ .

٧- صديق الدملوجي ، مدحت باشا ، مطبعة الزمان ، بغداد ، ١٩٥٢-١٩٥٣ .

٨- قاسم محمد وحسن حسني ، تاريخ القرن التاسع عشر ، القاهرة ، بدون سنة طبع .

٩- كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة نبيه فارس ومنير البعلبكي، ج٤ ، بيروت ، ١٩٥٥ .

١٠- لوتسكي ، تاريخ الاقطار العربية الحديثة ، منشورات اكاديمية العلوم في الاتحاد السوفيتي معهد الاستشراق ، موسكو ، ١٩٧١ .

١١- مجموعة مؤلفين ، تاريخ اوربا في القرن التاسع عشر ، بغداد ، ١٩٨٥ .

١٢- مجموعة مؤلفين ، التاريخ الحيدث والمعاصر للوطن العربي، بغداد، ١٩٨٣ .

١٣- مجيد حبيب احمد، نهضة الشعوب الاسلامية في العصر الحديث، مصر، ١٩٥٢-١٩٥٣ .

١٤- محمد جميل بيهم ، فلسفة التاريخ العثماني اسباب انحطاط الامبراطورية العثمانية وزوالها ، الكتاب الثاني ، لم يذكر مكان الطبع ، ١٩٥٤ .

١٥- محمد عابدين حمادة ، التاريخ المعاصر ، دمشق ، ١٩٣٥ .

١٦- محمد عزة دروزة ، تركيا الحديثة ، مطبعة الكشاف ، بيروت ، ١٩٤٦ .

١٧- محمد فريد بك المحامي ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، بيروت ، ١٩٧٧ .

١٨- د. محمد كمال الدسوقي ، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، القاهرة ، ١٩٧٦.

المصادر الانكليزية:

1- D.R.S.M. Imamunddin , Modern History of the Middle East and North Africa , Pakistan , July 1960 .

2- Ernest Edmondson Ramsur JR , The young Turks Prelude to the Revolution of 1908 , New Jersey 1957 .